# الدرس الخامس و الأربعون

## تفسير سورة المرسلات: [١٤ : ٣٣]

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣)}

(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤)) هذا الاستفهام للتعظيم والتفخيم، وكثير ما يقع في القرآن العظيم مثل هذا الأسلوب ليعظّم الله تعالى به المقصود، منه قوله تعالى: {الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ} [الحاقة: ١ – ٣]، وقوله: {الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ} [القارعة: ١ – ٣]، فالله تعالى يسُوقُه على سبيل الاستفهام الذي يراد به التعظيم والتفخيم.

ثم يقول الله سبحانه وتعالى: (أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧)



هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩))، هكذا أيضاً يأتي أسلوب الاستفهام التقريري بعبارات وفواصل قصيرة، ينبه الله تعالى فيها على سننه الكونية لكي تكون دليلًا على ما سيقت لأجله من بيان عاقبة المكذب بالدين هذه عاقبته، وفي هذا وخز لضمائر هؤلاء المكذبين بالدين من كفار قريش لينظروا في سنن الله السابقة، (أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ) والجواب: بلى. وإذا صدّر الاستفهام بهمزة فينبغي أن يكون الجواب ببلى في حال الإثبات.

والأولون هم الأمم السابقة بإطلاق.

(ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ): إشارة إلى من عاصر النبي صلى الله عليه وسلم من منكري البعث من كفار مكة أو مشركي العرب، وقيل: إن المراد بالأولين: الأمم السابقة البعيدة التاريخ مثل عاد وثمود ومَدين والأمم المتقدمة، وأن الآخرين: هم قوم إبراهيم وآل فرعون غير ذلك.

(كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ): أي أن ما صنعه الله تعالى بالأولين والآخرين سُنّة مطّردةٌ باقية، يجريها الله تعالى وفق حكمته. وفي هذا تخويفٌ وإيعادٌ ونذارةٌ لمنكر البعث.

(وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ): هذه الجملة تكررت في هذه السورة نحو عشْر مرات، وليس هذا من باب التكرار الذي لا فائدة منه أو من باب الحشو، حاشا وكلّا، فليس في القرآن شيء زائد ولا حشوٌ لا طائل من ورائه، فإن الله سبحانه وتعالى



هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

يكرر بعض الآيات في كتابه، كما في سورة الرحمن: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن: ١٣]، فالمراد منها في هذه السورة وعيد من كذّب بما تقدم ذكره، فمن أنكر ما تقدم ذكره من إثبات المعاد وإيقاع المثلات بمنكريه فالويل له، والويل: كلمة وعيد. وقيل: إن الويل اسم وادٍ في جهنم.

ثم قال الله تعالى (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤)): هذا لونٌ جديد من ألوان الاستدلال على إثبات المعاد فما تقدم هو استدلال بسنن الله الكونية وهذا استدلالٌ بالمبدأ على المعاد فالتذكير بالمبدأ يجعل الأمر محل قبول ، لأن القادر على بدء الخلق قادر على إعادته بل هو أهون عليه، (أَلَمْ نَخْلُقكُّم)، أدغم عامة القراء القاف في الكاف فلم يظهر القاف وفي قراءة قالون عن نافع إظهار القاف، والماء المهين هو :المني الذي يخرج من الرجل ومن المرأة فيحصل بهما النطفة الأمشاج التي تقدم ذكرها في سورة الإنسان وهو ماء مهين أي: حقير تزدريه العين وتشمئز النفس ومن نتنهِ ومرآه.

(فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ): هو الرحم الذي جعله الله في موضعٍ تحيط به العظام من صلب المرأة وحوضها حتى لا يتعرض لسوء وجعل الله تعالى غذاء هذا الجنين مرتبط بهذا الغلاف السميك للرحم وجعل وجههُ تلقاء ظهر أمه لكي يكون ذلك



هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

أحفظ له، فيمكث هذه الأشهر التسعة في هذا الوعاء الذي يمدهُ بالغذاء فينمو نموًا تدريجيًا في خلقته كما وصف الله تعالى في سورة المؤمنون وسورة الحج وغيرهما.

(إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ): هو الموعد الذي ضربه الله تعالى لخروج هذا المخلوق إلى الدُنيا {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [الرعد: ٨] كثيرًا ما ينبهُ الله على التقدير الدقيق فيما يتعلق بالتخليق والناس الآن يعتنون بضبط المواليد بالشهر والساعة والدقيقة، لكنه عند الله أضبط وأدق فكل إنسان قد حدَّ الله له حدًا وقدر له قدرًا. (قدرنا) من القدرة ومن التقدير فلهذا قرأت بالقراءتين بالتخفيف وبالتشديد.

(فَقَدَرْنَا) أدل على القدرة و(فَقَدَّرْنَا) أدل على التقدير (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) إن الباحث ليذهل حينما يقف على مراحل تخليق الجنين وما يمر به من أطوار وكيف تتخصص خلاياه وقد كانت خلية واحدة تتابعت عليه الانقسامات ثمَّ تخصصت، فإذا بخلايا للعين وخلايا للكبد وخلايا للسمع وخلايا عصبية وخلايا هضمية وخلايا أنسجة وهكذا شيءٌ عجيبٌ مذهل!

ولهذا فإني أدعو إخواني طلبة العلم إلى أن يقرؤوا في تفاصيل هذه الأشياء من الناحية العلمية التي أظهرها وجلّاها العلم الحديث فإن في هذا زيادة إيمان وتفكر واعتبار، فهذه تزيد الإيمان، وفرق ما بين المؤمن وغير المؤمن أن المؤمن حينما يقرؤها يزداد



هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

إيمانًا، بينما يقرؤها غير المؤمن كما يقرأ جملة من الأرقام والبيانات لا تحرك فيه ساكنًا ( قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ(١٠١))[سورة يونس:١٠١].

قال الله عز وجل: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) من أنكر ذلك وكذبهُ فالويلُ له.

ثمّ ذكر الله تعالى ضربًا ثالثًا من الأدلة على إثبات المعاد ألا وهي الدلائل الأرضية فقال سبحانه {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [المرسلات: ٢٥ – ٢٨]: هذه الطائفة من الآيات تدلُ على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى وإمكان البعث وأنه أهون عليه فهذه الأرض أمُنا التي حوتنا وضمتنا وعشنا في حجرها ونعودُ إليها {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} [طه: ٥٥]، فمعنى (كفاتا) أي: أنها تضمكم أحياءً وأمواتا فنحن في أكنانها في البيوت والكهوف والمغارات والظلال {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا} [النحل: ٨١]، فهي لنا كفات والكفتُ هو الضم وهي أيضاً بعد موتنا تواريا (أحياءً وأمواتًا)، فقد فطر الله البشر على ان يدفنوا موتاهم كما علمهم ذلك في قصة ابني ادم {وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ} والمراد بها الجبال ، و وصفت بإنها رواسي لرسوها ورسوخها وجذرها في قعر الأرض حتى أن الله وصفها في سورة النبأ



هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

بالأوتاد، {وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} [النبأ: ٧]، يقول علماء الهيئة أن في بطن الأرض كما على ظهرها من الجبل ، فإذا كان ارتفاع الجبل ٥٠٠ متر أو أكثر فله ما يقابله في بطن الأرض، فهي بمنزلة الأوتاد و الأطناب.

كما أنهن شامخات: أي شاهقات في جو السماء فتأمل هذا التقابل، في أنها رواسي فهي ممتدة في العمق وهي أيضاً شامخات أي انها شاهقة في العلو.

{وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا}: هذا إشارة إلى المطر الذي جعله الله تعالى حياة للأرض وحياة للإنسان و حياة للحيوان، ومعنى فراتا أي عذباً زُلالا، لإنه أمتن بهذا الوصف لكونه هو الوصف الصالح للاستمتاع والشرب.

{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} [الفرقان: ٥٣]، وقال: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} [فاطر: ١٢].

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) }: الذين لا يعتبرون بهذه الآيات الأرضية والآفاقية ، ويل لهم ، فدلت هذه الجملة من الآيات على أن القادر على خلق هذه الأشياء وجعل الأرض كفاتاً، قادر على خلقهم من جديد.



هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر: ٥٧].

وبعد هذه الحملة من الآيات الدالات المقنعات لذوي العقول و الألباب على إثبات البعث يقول الله سبحانه وتعالى: {انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩)} تغير في الخطاب، و التفات يلفت الأنظار والانتباه، {انْطَلِقُوا}، بصيغة الأمر ،الذي يجبه المكذبين ،انطلقوا إلى ماكنتم تكذبون.

وقد كانوا يكذبون بالبعث، كانوا يكذبون بالنار، فكأنما رُحلوا إلى ذلك اليوم الموعود الذي كانوا يُنكرونه وقيل لهم: {انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩)} وكأنما تسائلوا: إلى أين؟ فقيل: {انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١)} و قُرئت الثانية على صيغة الخبر: {انْطَلَقوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠)}، والقراءة المشهورة بصيغة الأمر في الثانية كما في الأولى والشعب أي الأجزاء المفترقة وذلك لأن دخان اللهب إذا ارتفع في السماء ينقسم فرقًا، فإذا تصاعد الدخان من لهب جهنم كان لهم ظلاً فإذا ارتفع تفرق إلى ثلاث شعب، كما وصف بعض المفسرين شعبة عن يمينه وشعبة عن شماله ،وشعبة فوق رأسه فهي تكتنفه في كل مكان. وبئس الظل هو! فقد وصفه الله بقوله: {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} [الواقعة: ٤٣، ٤٤]، في حين أن عباد الله تحت ظل



هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله

عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، {لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١)}، أي ليس الظل الذي يقيكم من الحر {وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ} يعني وإن كنتم تحته لكنه لا يمنع عنكم ألسنة اللهب من نار جهنم.

وربما دل ذكر اللهب على أن هذا يقع بعد عرصات القيامة، وظاهر الآية أن ذلك يكون بعد بعثهم، فيكون ذلك دخان يخرج من نار جهنم فيقعون فيه.

قال تعالى: {إِنَّهَا} أضمرها ولم يُسمها، وذلك لمزيد تعظيم شأنها وخطرها وشدتها وهي النار.

قال تعالى: {إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢)}، أي: تقذف بشرر، والشرر هو ما يتفلت من النار من قطع متوهجة يقال لها شرر، جمع شرارة، أو شرار.

{كَالْقَصْرِ (٣٢)}، أي بحجم القصر، وهي البيوت العظيمة وقيل في القصر قراءات أخرى :كالقُصَر وهي مقدار من الحطب يبلغ نحو ثلاثة أذرع كانوا يتخذونه ويحفظونه للشتاء، فأراد أن يبين، أو يمثل بشيء يعهدونه في أذهانهم.

{كَأَنَّهُ}، أي ذلك الشرر، {جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣)} جمع جمال فهو جمع الجمع، (جمالت صفر) تشبيه لها بنوع خاص من الإبل، وهي السود المشوبة بصفرة ويقولون لا يكاد يوجد إبل سوداء، إلا وهي مشوبة بصفرة فلذلك يسمونها صُفر.



هذه المادة لم تراجع على الشيخ حفظه الله